

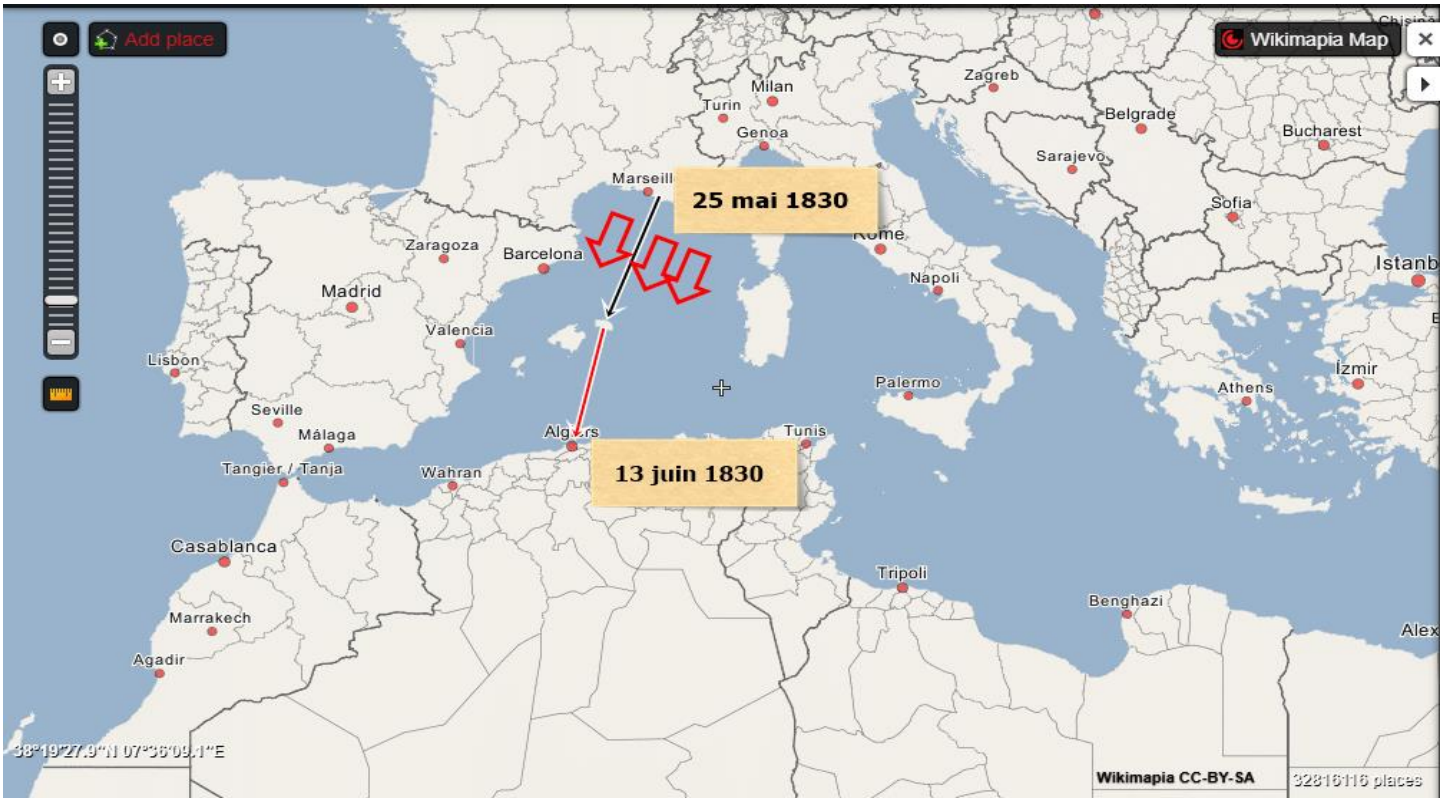
المحاضرة الرابعة: من الإنزال البحري إلى معاهدة الاستسلام

1. تجهيز الحملة الفرنسية وانطلاقها:

في شهر جانفي 1830م خرج البرلمان الفرنسي بقرار ضرورة توجيه حملة عسكرية لاحتلال الجزائر، وقد قام الملك شارل العاشر في أفريل من نفس السنة بتعيين الجنرال دو بورمون قائدا لها، انطلقت بعدها التحضيرات والتجهيزات في ميناء طولون الحربي، واشتملت على 38 ألف جندي و780 سفينة من مختلف الأشكال والأحجام، كما احتوى الأسطول الحربي الفرنسي على مترجمين يجيدون اللغة العربية واللغة التركية، مع أطباء وصيادلة، دون نسيان الذخائر الحربية والمدافع والأسلحة بمختلف أنواعها.

انتهت التجهيزات في أوائل شهر ماي 1830م، وقد أعطيت إشارة انطلاقها يوم 25 ماي 1830م، وكانت الرحلة البحرية مقسمة إلى جزئين، من ميناء طولون إلى جزر بالما الإسبانية، والجزء الثاني من جزر بالما الإسبانية إلى سواحل مدينة الجزائر، ليصل الأسطول الحربي الفرنسي إلى سواحل سيدي فرج ليلة 13 جوان 1830م.

انطلاق الحملة، السير، الوصول.



2. الاستعدادات الجزائرية للحملة العسكرية الفرنسية:

وصلت إلى الداوي حسين معلومات من عدة مصادر، منها بعض الجواسيس على تجهيز حملة عسكرية فرنسية ضد مدينة الجزائر، وأن سفن الأسطول ستوجه على الأرجح إلى خليج سيدي فرج حيث يتم هنالك الإنزال البحري، وهذه الرسالة التي وصلت إلى الداوي: "الحمد لله وحده ولا يدوم إلا ملكه المعظم المكرم المجاهد في سبيل الله المحترم سيدنا حسين باشا، محروسة الجزائر نصره الله وخلد ذكره ومآثره، السلام على مقام سيدنا العالي بالله ورحمة الله وبركاته عن خير سيدنا أدام وجوده آمين، ومما يجب الإعلام به لسيدنا... قد تواتر ذكر الفرنسيين يريدون حرب ثغر الجزائر برا وبحر..". وقد كان الداوي على علم حتى بالمكان الذي ينزل به الفرنسيون، فقد ذكر أحمد أي في مذكراته "في سنة 1830 ذهب أحمد باي إلى مدينة الجزائر لأداء الدنوش، حضرت بين يدي الباشا وقال لي: ليس لديكم أكثر من الوقت الكافي للخروج إلى الفرنسيين الذين سينزلون بسيدي فرج، إنني اعرف مكان النزول من الرسائل التي تصلني".

ويؤكد جل المؤرخين أن الداوي حسين لم يكن استعداده على أكمل وجه لصدة هذه الحملة العسكرية رغم أن الداوي كان على علم بكل تفاصيلها، ويمكن تحديد الأسباب التي جعلت الاستعداد يكون محتشما في النقاط التالية:

أ. السبب الأول: لم يخطر ببال الداوي حسين أن الفرنسيين سيهاجمون الجزائر من ناحية البر، فكان يعتقد أن الحملة لن تتعدى القيام بضربات المدفعية مثل باقي الحملات الأوروبية السابقة.

ب. السبب الثاني: الثقة المفرطة من الداوي تجاه جيشه الذي كان يعتقد بأنه جيش لا يقهر، زيادة على ثقته العمياء في حصون وقلاع الجزائر.

ت. السبب الثالث: عدم ثقة الداوي حسين ببعض معلومات هؤلاء الجواسيس معتقدا أنها معلومات خاطئة.

ث. السبب الرابع: تعيين الأغا إبراهيم كقائد للجيش خلفا للأغا يحيى، وكان الأغا إبراهيم ضعيف من الناحية العسكرية.

ولكن رغم ذلك أصدر الداوي بعض التعليمات ومنها أنه قدم تعليمات إلى باي قسنطينة تحثه على اليقظة والحذر والاستعداد لمواجهة أي محاولة قد يقوم بها الفرنسيون ضد مدينة عنابة، فلم يطلب منه جمع قواته والقدوم بها إلى الجزائر، وكان سبب وجود الحاج أحمد باي في مدينة الجزائر يوم الإنزال البحري الفرنسي للدنوش السنوية التي يقدمها إلى الداوي، أما طلبه من باي وهران فقد كان إرسال جزء من القوات والاحتفاظ بالباقي لصدة أي محاولة تجاه مدينة وهران، مع

الاعتماد على جيشه المتواجد بالمدينة تحت قيادة الأغا إبراهيم وجيش بايلك التيطري تحت قيادة الباي مصطفى بورمرزاق، بالإضافة إلى التحصين المدفعي في القلاع والحصون، أما سيدي فرج فلم تكن محصنة دفاعيا بنفس القدر فيذكر حمدان خوجة أن سيدي فرج لم يكن بها سوى 12 مدفعا.

3. الانزال البحري الفرنسي 14 جوان 1830م:

بعد وصول سفن الحملة الفرنسية إلى سواحل سيدي فرج بدأ تنفيذ عملية الانزال فجر يوم 14 جوان 1830م، وقد ومع حلول 12 صباحا كان قد تم إنزال كل الجيش مع أسلحتهم، وقد بدأ رد المدفعية الجزائرية على الساعة السادسة من صباح يوم 14 جوان، بعد أن أكمل الفرنسيون الإنزال دون خسائر، وقد تمكنوا من السيطرة على الخليج.

الوضعية في خليج سيدي فرج صبيحة 14 جوان 1830م.



4. معركة سطاوالي 19 جوان 1830:

في الفترة ما بين الانزال 14 جوان إلى غاية 19 جوان، تمكنت القوات الفرنسية من تثبيت مواقعها في خليج سيدي فرج ومن ثم التقدم شيئا فشيئا إلى الداخل، وبعد أن تمركزت القوات الجزائرية بقيادة الأغا إبراهيم بالقرب من سطاوالي، وبعد صلاة الصبح أمر الأغا إبراهيم الهجوم على مواقع القوات الفرنسية وقد بدأ الهجوم بالمدافع ومن ثم هجوم الفرسان، ويمكن تقسيم سير المعركة إلى فترتين فالفترة الأولى التي ابتدأت في الصباح الباكر واستمرت حتى حدود الساعة العاشرة صباحا، في هذه المرحلة تمكنت القوات الجزائرية من السيطرة على بعض القواعد الأمامية بعد ان استغلت الضباب في المنطقة، وقد أرسل الأغا إبراهيم رسائل تبشيرية إلى الداي بقرب الانتصار في المعركة، ولكن وبعد الساعة العاشرة صباحا انقلبت الأوضاع وتمكن ديورمون من صد الهجوم الجزائري ومن ثم القيام بهجوم مضاد في مواقع القوات الجزائرية في سطاوالي وتمكنوا من السيطرة عليه، وقد لاذت اغلب القوات بالفرار ومنهم الأغا إبراهيم حيث يقول عنه حمدان خوجة: "غادر المعسكر وكله يأس كما لو أنه فقد رأسه، لقد ترك كل شيء، الخيم، الفرق الموسيقية، الأعلام وجيشه بأكمله".

خريطة لسير معركة سطاوالي.



5. معركة سيدي خالف 24 جوان 1830م:

بعد هزيمة الجيش الجزائري في معركة سطاوالي وتفرقه وفرار قائده الأغا إبراهيم، طلب الداوي حسين من حمدان خوجة البحث عن القائد الفار وإعادة جمع الجيش المتفكك من جديد لتنظيم مقاومة جديدة، وكان الجيش الفرنسي قد استقر في هضبة سطاوالي بعد معركة 19 جوان 1830م، بينما تمركز الجزائريون في قبة سيدي خالف على بعد كيلومترات قليلة من سطاوالي، حيث استعاد الجيش الجزائري نشاطه مجددا بعد علمه بثبات القوات الفرنسية في سطاوالي دون تقدمها.

وفي صباح يوم 24 جوان 1830م هاجمت القوات الجزائرية الجيش الفرنسي واستمر القتال يوما كاملا تلقى فيها الفرنسيون خسائر معتبرة وقتل على إثرها ابن ديورمون، وخاصة أن الأغا إبراهيم قد تم عزله من قبل الداوي وتعيين باي بايلك التيطري مصطفى بومزراق الذي أذاق الفرنسيين هجمات متعددة وعلى الرغم من خسائر الجيش الفرنسي في معركة سيدي خالف إلا أنه لم يتوقف واستمر بالمشير إلى القصبة.

6. سقوط حصن الامبراطور 4 جويلية 1830م:

يقع حصن حسن أو حصن الإمبراطور أو القلعة السلطانية كما كان يسميها الأتراك في المترفعات الجنوبية المشرفة على العاصمة، وهو عبارة عن حصن دفاعي مسلح بالمدافع وكانت مهمته تتمثل في الدفاع عن المناطق الجنوبية والغربية للعاصمة، ويبعد الحصن عن القصبة بحوالي 800 متر، وقد تحركات القوات الفرنسية بعد معركة سيدي خالف وتحديدا يوم 29 جوان 1830م إلى مدينة الجزائر وقد وصلت إلى أسوار حصن الإمبراطور وقامت بمحاصرته، وكان حصن الإمبراطور آخر معاقل المقاومة الجزائرية وعين على هذه المقاومة الخزناجي والذي ليس له أي علم بالحرب وفنون القتال. استمر الحصار من 29 جويلية إلى غاية 4 جويلية 1830م عندما انتهت ذخائر المدافع ولم يجد الجيش الجزائري أي ذخائر للدفاع بها عن الحصن، أصابهم الذعر وخاصة قائد الجيش الخزناجي والذي قال عنه حمدان خوجة: "لقد أضع شجاعته واستولى الرعب عليه إلى غاية أنه ذعر ونسي أن يغلق أبواب البرج"، وما كان له من الأمر أي حيلة إلا أن قام بتفجير جزء من الحصن وهكذا سقط حصن الإمبراطور في يد القوات الفرنسية.

سير القوات الفرنسية من الانزال إلى سقوط حصن الإمبراطور.



7. احتلال مدينة الجزائر:

بعد سقوط حصن الإمبراطور آخر معاقل المقاومة في أيدي القوات الفرنسية أصبح الطريق مفتوحاً أمامهم، وفي هذه اللحظات عقد الداوي حسين اجتماعاً مع أعيان المدينة ورجال السلطة والجيش لدراسة المستجدات، وقد أرسل وفداً للقاء دوبرومون الذي أعاد إرسال له رسالة مفادها أنه يتم إهمال الداوي 24 ساعة للتسليم وإلا سيحطمون المدينة مع ساكنتها وهنا أقر الداوي تسليم المدينة للفرنسيين.

قام بعدها الداوي حسين بالتوقيع على معاهدة الاستسلام 05 جويلية 1830م، حيث تعهد فيها الداوي بتسليم جميع حصون المدينة والميناء للقوات الفرنسية قبل الساعة العاشرة، مقابل تعهد القائد العام للجيش الفرنسي بضمان حرية الداوي حسين وأن يساعده على التنقل رفقة أسرته إلى أي مكان يختار الذهاب إليه، وكذلك ضمان ممارسة الحرية الدينية للسكان وأملاكهم وتجارهم وصناعاتهم.